Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لفرط ملاءمتها للمعانى . والأمثلة المشابهة كثيرة فى ديوانه .

ويبدو أن شهرة البحترى بالميل إلى الطبع ، واحتذاء نهج الأقدمين تدفع إلى الاعتقاد بأنه لم يكن يتجرأ على اللغة ويتصرف فيها . وحقاً لم يكن البحترى يملك جرأة أبى تمام ، ولكنه كان يفعل شيئاً من ذلك ، ولكن فى حدود معقولة ومقبولة . وقد نبّه أبو العلاء فى (عبث الوليد) إلى جرأته وتصرفه فى اللغة ، كما نبّه بعض دارسيه من المحدثين إلى خروجه على المألوف أحياناً ، ومنهم صاحب كتاب (عبقرية البحترى) الذى يقول : « وأبو العلاء فى كتابه عبث الوليد ينحى باللائمة على البحترى فى الجرأة على ألفاظ اللغة ، حيث رخّص لنفسه ، كما رخّص لها أبو تمام ، فخرج على مألوف اللغة ، فمدّ المقصور ، فبدل أن يقول : الظمأ ، قال : الظماء . وبدل أن يقول : سبأ ، قال : سباء . والبحترى أيضاً يخالف القياس فيقول مكان اسوادّ ، اسوادّ . ويقول مكان يبكى ، يبك . وينقل الهمزة فيقول فى شأ ، شاء ، وفى رأى ، راء »(٣٢) .

ويبدو أن أبا العلاء لم يكن جاداً فى كل ما أخذ على البحترى ، ولعله كان يهدف إلى غايتين ، أولاهما : مداعبته ومعابثته ، لأنه معجب به كما يبدو . وثانيتهما : عرض ما لديه هو من علم غزير باللغة ووجوهها . ويدلنا على ذلك أنه كان يأتى بتأويلات بعيدة لأقوال البحترى أحياناً ويحاوره فيها ، ثم يعود إلى الوجه القريب ، وكان باستطاعته أن يقف عند ذلك الوجه القريب منذ البداية . والشواهد التى تبين منهج أبى العلاء فى طلب التأويلات كثيرة ، أذكر منها قوله فى نقد بيت البحترى :

رِقَّ لى من مَدامعٍ ليس تَرْقَا وارث لى من جَوانحٍ ليس تَهْدَا

« إذ جعل فى ليس (ضميراً) فقد أخبر عن الجميع ها هنا كإخباره عن الواحد ، لأن الوجه أن يقال ليست ترقا ، وليست تهدأ . كما يقال مكارمك ليست لفقد ، فالأجود إثبات التاء ، فإن عدمت فهو من باب قوله :

ألا إنَّ جيرانى العشيةَ رائحٌ دعتهم دَواعٍ من هَوًى ومَنادِح

(٣٢) عبقرية البحترى ٥٣ ، ٥٤ .